الباب الأول

دخول الاسلام إلى روسيا

جغرافية الاتحاد السوفيتي سابقا:

يشغل الاتحاد السوفيتي السابقً مساحة قدرها ٢٢٤٠٢٢٠٠ كيلو متر، موزعة على قارتي آسيا وأوروبا، وهذه المساحة تعادل سدس اليابس تقريباً، ويبلغ طول الأراضي السوفيتية سابقًا بين بحر البلطيق والمحيط الهادي حوالي ١٠ آلاف كيلو متر، وعرضها يتراوح بين ٣٠٠٠ كيلو متر و٤٥٠٠ كيلو متر،ويتكون الاتحاد السوفيتي من خمس عشرة جمهورية، منها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها، بخلاف الأقاليم الملحقة بهذه الجمهوريات، ولقد استولى السوفييت على مساحة ٤٥٣٨٦٠٠ كيلو متر من البلاد الإسلامية،والوحدات السياسية التي استولى عليها السوفييت من الأراضي الإسلامية في قارة آسيا هي:

أذربيجان – أوزباكستان – طاجيكستان – تركمانستان – كازاخستان – قرغيزيا – جورجيا – أرمينيا - والست الأولى ذات أغلبية مسلمة، والأخيرتان كانتا تابعتين لحكم إسلامي خلال فترات مختلفة، وفي قارة أوروبا – داغستان – شاشان – كباردبا بلكاريا – القرم – ماري وادمورتيا – تشوفاشيا – تتاريا – بشكيريا – أورنبرج وأستينا الشمالية.

المسلمون في روسيا التاريخ والنشأة

هناك في روسيا وعلى أرض سيبيريا وحيث يلتقي الشفق بالغسق، حيث لا ليل ولا نهار فقد أقر الله قلب رسوله صلى الله عليه وسلم بوصول رسالة الإسلام إلى الدائرة القطبية الأولى من أراضي سيبيريا الروسية، حيث تصل درجة الحرارة فيها إلى أكثر من خمسين درجة تحت الصفر في فصل الشتاء، ففي هذه المنطقة من العالم كان نور الإسلام قد وصلها من خلال انتشاره في سهوب وسهول وجبال روسيا منذ ألف وأربع مئة سنة .

في سنة ١٩٩٦م كان مفتي روسيا الشيخ راوي عين الدين، قد طلب من الرئيس يلتسن الموافقة للمسلمين على الاحتفال بذكرى مرور ألف وأربعمائة سنة على دخول الإسلام إلى روسيا، ويبدو أن الذي لم يحصل عليه المفتي من يلتسن، حصل عليه من الرئيس بوتين، فقد احتفل المسلمون بهذه الذكرى العظيمة التي تؤرخ لوجود الإسلام على أرض روسيا، قبل اعتناق الروس للنصرانية بأربع مائة سنة، ففي نهاية القرن الماضي، احتفل الروس بذكرى مرور ألف سنة على دخول النصرانية لبلادهم، واعتناق الروس لها، وتلك هي قصة أسبقية دخول الإسلام على النصرانية لروسيا.

عالمية الإسلام:

لعالمية الإسلام كرسالة ربانية سماوية، سار الخلفاء الراشدون على ما ذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحمل هذه الأمانة لتبليغها للناس كافة، ولم يمض على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع سنين حتى وصلت رايات الفتح الإسلامي إلى بلاد ما وراء النهر وبلاد السند وشمال أفريقيا، أما عن دخول الإسلام إلى سهوب روسيا، وجبال الأورال، فتعود قصتها إلى أيام الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما بين سنتي ١٨- ٢٤هـ = ٦٣٨- ٦٤٤م، فقد قاد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان حملته على أذربيجان وأرمينيا، وقد تم توقيع الصلح على يد قائده عتبة بن فرقد السلمي، وقاد الحملة الثانية إلى الشرق من البلاد التي توجه إليها حذيفة، الأحنف بن قيس، ففتح أراضي الديلم وطبرستان، وأفغانستان.

أما ما يعرف عند المسلمين العرب بمدينة باب الأبواب وديربند، فقد فتحها القائد المسلم سراقة بن عمرو من دون إراقة دماء، وذلك في عهد عمر سنة ٢٠هـ، ومقبرتها الإسلامية حاضنة لقبور أربعين شهيداً عرف منهم الصحابيان الجليلان الربيع بن مسلمة وأخيه عبدالرحمن رضي الله عنهما، في حروبهم مع الخزر، ويعتبر أهل المدينة المقبرة أرضاً مباركة لضمها رفاة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن معالم المدينة

المسجد الذي بناه مسلمة بن عبدالملك سنة ١١٥هـ ولا زالت آثاره باقية بعدما ضربه زلزال أصاب المنطقة مطلع القرن الرابع عشر للميلاد.

وفي عهد معاوية رضي الله عنه، تواصل امتداد الفتح الإسلامي حتى عبر الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٥٠هـ ٦٧٠م نهر جيحون وفتح بلاد أوزبكستان، ثم توالت الفتوح، ففتح عبدالله بن زياد بخاري وبيكند سنة ٥٥هـ - ٦٧٤م ثم جاء سعيد بن عثمان، ففتح سمرقند، وفي تلك المعركة استشهد الصحابي قثم بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل هذا كان في عهد معاوية رضي الله عنه، وفتح موسى بن عبدالله بن خازم، ترمذ بلد الإمام الترمذي سنة ٧٠هـ٦٨٩م، ثم جاء بعده قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر، ووطد الإسلام فيها، ما بين سنتي ٨٨- ٩٦هـ = ٧٠٦- ٧١٤م، حيث وصلت جيوشه إلى حدود الصين، وأقسم أن يطأ برجليه تراب الصين، فأرسل له إمبراطور الصين بطشت فيه من تراب الصين، ليبر بقسمه مع الجزية، فوطد أركان الإسلام بتركستان الغربية وتركمانستان وطاجكستان وقرغيزيا، ومن قادة الفتح الإسلامي لهذه البلاد الجراح بن عبدالله الحكمي ومروان بن محمد الأموي، ومن هذه المناطق انتقل الإسلام إلى تركستان الشرقية، حيث اعتنق الإسلام ستوقد بغراخان، ملك الترك الشرقيين، وتبعه مليون شخص في اعتناق الإسلام، وذلك في

القرن الرابع الهجري ٣٢٣هـ-٩٣٤م، فكان دخول الإسلام إلى هذا الشريط الجغرافي المتمثل فى وسط آسيا، قاعدة انطلاق لانتشار الإسلام في الشمال والجنوب، ومن هذه الأقاليم إقليم حوض نهر الفولجا، في تعدد شعوبه وأعراقه، برسالة الإسلام فأخرجهم من ظلم الوثنية والقبلية إلى نور الإسلام وقد خدموا الإسلام في أعظم صورة، إنها رسالة العلم بتنوع فنونه وعلومه التي واكبت رسالة الإسلام، فقدموا للحضارة الإنسانية باسم الإسلام، سمو مكانة هذا الدين في صلاحه لحياة الإنسان على هذه الأرض، وعلى أنه رسالة السماء إليها.

ومع أحمد بن فضلان تبدأ حكاية جديدة عن وصول الإسلام ودخوله إلى روسيا، فقد كان لانتشار الإسلام في أواسط آسيا من الصين شرقاً إلى بحر الخزر غرباً، من خلال اعتناق شعوبه هذا الدين العظيم السبب المباشر، لدفع من وراءهم من جهة الشمال والغرب إلى التعرف على الإسلام، حيث لا زالت هذه الشعوب تدين بالوثنية، وقد كان لاتصال أبناء أواسط آسيا من المسلمين، عن طريق التجارة مع هذه الشعوب، ما دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام، ودفع الآخرين من إخوانهم إلى اعتناق الإسلام، وهنا تبدأ القصة، عندما قدم إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣١٠هـ- ٩٢١م، وفد من بلغار الفولجا، طالبين من الخليفة أن يرسل معهم من يعلم من وراءهم الإسلام وأحكامه، وذلك لأنهم محاطين

بأمة وثنية، من الروس والسلاف وغيرهم من شعوب نهر الفولجا، ونزولاً على الطلب ؛ كانت رحلة ابن فضلان إلى ملك الصقالبة، وتقع مدينته إلى الغرب من مدينة قازان، وهو ألمش بن يلطوار الذي اعتنق الإسلام بوصول ابن فضلان إلى مجلسه، وكان بمعيته وفد من العلماء والفقهاء ورسول ملك الصقالبة المسلم بارس الصقلبي، وأرخت الرحلة بـ ٣١٠هـ ٩٢١م، وهنا يبدأ فصل جديد في حياة منطقة نهر الفولجا، فقد اعتنق الصقالبة الإسلام، في الوقت الذي كان فيه الروس يعيشون حياة بدائية تقوم على الترحال والتنقل، وقد اعتبر ما كتبه ابن فضلان، من أفضل ما كتب في تاريخ الحياة الاجتماعية لسكان حوض نهر الفولجا من الوثنيين الروس والبلغار والصقالبة، واعتبرت رسالته من أفضل المصادر في التاريخ الاجتماعي والسياسي في التاريخ الروسي لتلك الفترة.

يبلغ عدد السكان المسلمين اليوم في روسيا، أكثر من عشرين مليون مسلم، ولهم في موسكو سبعة مساجد، وأكبرها المسجد التتري -الحجري الذي يعود أساس بنائه إلى سنة ١٨٠١م، حيث بني بالحجر وكان مسجداً صغيراً يستوعب ٢٥٠ مسلم، وجدَّد بناءه الثري التتري المسلم صادق يرزين، سنة ١٩٠٤م، وما أن علم لينين بثراء هذا الرجل وأنه وراء بناء المسجد حتى صادر أملاكه، ومات رحمه الله وهو حارس مبنى.

ويبلغ عدد مسلمي سكان موسكو اليوم في حدود مليوني مسلم، وقد تبرع أحد أثرياء المسلمين لإعادة بناء الجامع، وكل زائر لموسكو اليوم يشاهد هذا البناء العظيم في تجديد بنائه، وهو اليوم يتسع لعشرين ألف مصل، ومؤلف من ستة طوابق مع ملحقات للجامع، والمبلغ الذي تبرع به فاعل الخير هذا، هو ١٠٠ مليون دولار على أن لا يؤخذ من أحد أية مساعدة مطلقاً، فهو الكفيل في بنائه حتى النهاية، وهذا دليل والحمد لله على النهضة الإسلامية في روسيا اليوم.

وقد تم حصر المساجد التي تم تدميرها في العهد الشيوعي، وتم إعادة بنائها من جديد، في جميع الأقطار الروسية، خاصة في جمهورية تتارستان، التي حصل رئيسها شايميف على جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام، من خلال نشاطه الإسلامي في بلاده المتمثل إعادة إعمار ألف مسجد في تتارستان، خاصة الجامع الكبير في قازان الذي تمت مصادرته أيام الحكم الشيوعي.

<u>الروس واعتناق النصرانية:</u>

يشير الأستاذ فريد شاه أسد الله في كتابه موسكو المسلمة ماضيها وحاضرها، إلى أن الوجود الإسلامي في حاضرة روسيا من خلال إحدى الدراسات الوثائقية، إلى القول بأن الإسلام في آخر معلمةٍ له كانت في

روسيا تعود لسنة ٩٢٢م، ويعتقد المؤرخ التتري المسلم المعروف، شهاب الدين مرجاني، أن البلغار اعتنقوا الإسلام قبل ذلك التاريخ، وتحديداً في عهد الخليفتين المأمون ٨١٣- ٨٣٣م والواثق ٨٤٢- ٨٤٧م، ولعل ما أورده الأستاذ فريد هو عن سبب اعتناق الروس النصرانية على الإسلام هو الصحيح، وهو أن تحريم المسلمين للخمر، لم تعجب الأمير الروسي فلاديمير، فقد قال لرسل البلغار المسلمين، وجرت على مجرى الأمثال السائرة روسيا معتادة على الخمر ولا تحيا من دونها، وهذا يعني أن النصرانية دخلت روسيا سنة ٩٨٢م مع تنصر الأمير فلاديمير، والإسلام سابق على دخول النصرانية إلى روسيا.

إسلام بركة بن جوجي بن جنكيز خان:

وهكذا فقد قدر الله لهذه الأمة اعتناق شعب التتار الإسلام، وأن يتحول هذا الشعب من مستأصل ومحارب للإسلام إلى مدافع عنه وناشر له، فقد أسلم بركة خان ملك التتر سنة ٦٥٤- ٦٦٥هـ = ١٢٥٦- ١٢٦٧م وأصبح حوض نهر الفولجا على طول ٢٠٠٠ كم، نهراً إسلامياً، ووصل المد الإسلامي إلى سيبيريا ومناطق فنلندا، الذين يشكل التتر فيها نواة الوجود الإسلامي، من ذلك التاريخ، وقد حارب بركة خان ابن عمه هولاكو السفاح الذي دمر بغداد سنة ٦٥٦هـ وقتل الخليفة العباسي المستعصم، فانتصر عليه بركة وأنقذ المسلمين من شروره، وقد أثنت

كتب التاريخ الإسلامي على هذا الملك العظيم في حسن إسلامه ودفاعه عن الإسلام، وخير من أرخ لتاريخ هذا القائد العظيم المؤرخ التتري المسلم الشيخ محمود الرمزي في كتابه الذي يؤرخ لتاريخ الوجود الإسلامي في روسيا، وكتابه تلفيق الأخبار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار المطبوع سنة ١٨٨٥م بقازان، وقد حكم المسلمون جميع السهول والأقاليم الروسية، مدة ٢٤٠ سنة، حتى أن مدينتي موسكو وكييف النصرانيتين كانتا تدفعان الجزية للمسلمين التتار ولا يعين حاكم عليهما إلا بموافقة حاكم قازان المسلم، ومع سنة ٨٨٥هـ ١٤٨٠م كان حكم إيفان الثالث، الذي أعلن استقلال موسكو والحرب الصليبية على المسلمين، وتلاه في الحكم ابنه إيفان الرابع، الذي عرف بإيفان الرهيب، الذي اكتسح قازان سنة ٩٦٠هـ ١٥٥٢م، واتبع سياسة الإبادة ضد المسلمين منذ بداية عهده وطيلة حكم أسرة آل رومانوف

في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري أصبح المسلمون أصحاب مملكة كبيرة في أواسط آسيا والقوقاز والفولجا أطلق عليها تاريخياً مملكة المغول أو التتار، وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي برزت على الساحة الدولية، الامبراطورية القيصرية الروسية التي انطلقت من دوقية موسكو في نفس الوقت الذي برزت فيه الامبراطورية

العثمانية، ولم ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى بات العثمانيون والقياصرة يخوضان صراعاً مريرا لصياغة تاريخ المنطقة.

وفي الوقت الذي بدأت فيه مملكة المغول الإسلامية في الانهيار أخذت الإمبراطورية القيصرية الناشئة تملأ الفراغ الناشئ عن ذلك، لكن الامبراطورية العثمانية التي كانت فتية في ذلك الوقت نشطت في نشر الدعوة الإسلامية في مملكة المغول كنوع من التحصين الديني وتحفيز المسلمين فيها على الجهاد ضد الغزاة القياصرة وبالفعل انتفض المسلمون في أكثر من ثورة ضد الروس:

- ففي الأعوام ١٧٠٥- ١٧٠٦م ثارت أستراخان ضد القيصر بطرس الأول الذي قمع ثورتها بشدة وارتكب مذبحة بشعة فى حق المسلمين التتار .

-وفي الأعوام ١٧٠٥- ١٧١١م ثار المسلمون في بشكيريا، إلا أنه رغم نجاح ثورتهم في بداياتها وطرد الجيش الروسي مؤقتًا لكن عاد الجيش القيصري الروسي وقمعها بشدة.

-وفي الفترة من ١٧٣٨ – ١٧٥٥م في عهد الامبراطورة تسارينا آنا دمر الروس القياصرة في قازان وحدها ٤٨١ مسجدًا ومركزًا دينيًا من أصل ٥٣٦ مسجداً، وشن القياصرة حملات اضطهاد ضد المسلمين التتار

في القوقاز وسيبيريا ويشبه المؤرخون تلك الفترة بفترة التطهير العرقي والديني التي شنها جوزيف ستالين في العهد الشيوعي ضد المسلمين.

وقد تنوعت أساليب القهر القيصري ضد المسلمين من إبادة وقمع وتهجير ثم فرضوا عليهم التنصير القسري وحظر القانون القيصري اعتناق أي دين غير المسيحية الأرثوذكسية، وتم استبدال اللغة السلافية بكل اللغات العربية والتركية والفارسية التي كانت سائدةهناك في ذلك الوقت، فضلًا عن الإهمال المتعمد للمدن والحواضر الإسلامية حتى تتحول إلى خرائب.

-في عهد الإمبراطورة كاترين الثانية شنت موسكو بالجيش الروسي القيصري هجوماً على مناطق القوقاز والقرم بغية احتلالها، واشتبكت مع العثمانيين في حروب طاحنة خلال أعوام ١٧٦٨ – ١٧٧٤م وكان من نتائجها إرغام السلطنة العثمانية على الاعتراف بانفصال مملكة القرم المسلمة عنها .

-في عام ١٧٨٢م سقط آخر معاقل المقاومة في القوقاز، واستشهد الخان شاهين جيراي لينتهي آخر المعاقل أو الإمارات التتارية .

- ثم أكمل القيصر نيقولا الأول الحملات العسكرية فهاجم أذربيجان وأخضع داغستان وأجزاء كبيرة من أرمينيا لحكم القيصر المباشر.

-في عام ١٨٤٣م اندلعت ثورة الشيخ شامل النقشبندي وهو من أعظم علماء المسلمين المجاهدين بدعم سياسي وديني من العثمانيين والتفت حوله قبائل الشراكسة والشيشان، وكل علماء القوقاز وتركستان، وقاد حرب استنزاف في شعاب المنطقة ووديانها وجبالها استمرت ثلاثين عاماً ولم تنته إلا عام ١٨٧٣م حينما انفضت القبائل عن الشيخ المجاهد فوقع في الأسر ومات في السجن.

وبينما توقفت الثورة شن القياصرة حملة وحشية للقضاء على جذور المقاومة وتم التركيز على الشيشان موطن الشيخ شامل حيث يتميز شعبها بقوة العزيمة والشكيمة والإصرار على المقاومة وكثفوا حملات التنصير بل وفرضوه بالقوة على الناس في الوقت الذي جرت فيه عمليات تخريب كاملة للاقتصاد بتدمير الغابات والزراعات، وفتح القياصرة الباب لهجرة الشيشانيين من بلادهم تخلصاً منهم فتوجهوا إلى عدد من الدول العربية وأخضعت الشيشان تماماً عام ١٨٨١م على يد يرمولوف.

واتجه القياصرة للتركيز في حملاتهم علي منطقة القوقاز بأكملها واستغلت خلال ذلك الصراع صلاتها العرقية السلافية، والمذهب الأرثوذكسي مع شعوب المنطقة من نفس العرق والمذهب لكسب تأييدهم خلال حروبها ضد المسلمين وحدث تجاوب معها مما زاد من قوة شوكتها

وساعدها على ترسيخ امبراطوريتها ومنذ ذلك العهد وهناك تحالف قوي بين القوى للحيلولة دون عودة السيادة للمسلمين على أرضهم، ومازال هذا الإصرار سارياً بين القوى الكبرى جميعًا حتى اليوم.

موسكو والحرب الصليبية على المسلمين

ومع سنة ٨٨٥هـ ١٤٨٠م كان حكم إيفان الثالث، الذي أعلن استقلال موسكو والحرب الصليبية على المسلمين، وتلاه في الحكم ابنه إيفان الرابع، الذي عرف بإيفان الرهيب، الذي اكتسح قازان سنة ٩٦٠هـ ١٥٥٢م، واتبع سياسة الإبادة ضد المسلمين منذ بداية عهده وطيلة حكم أسرة آل رومانوف.

الإسلام والمسلمون في روسيا:

للإسلام في روسيا تاريخ طويل يعود لأكثر من ١٤٠٠ سنة، فقد اعتُنِق الدين الإسلامي في منطقة حوض الفولجا رسميًا قبل قرن من إعلان الأرثوذكسية دينًا لروسيا، والإسلام الآن هو الثاني في البلاد من ناحية عدد معتنقيه بعد النصرانية الأرثوذكسية وقد وصل الإسلام بلاد ما وراء القوقاز الشرقي (أذربيجان) وآسيا الوسطى في فترة مبكرة، إذ أن الفتح الإسلامي شمل أذربيجان عام ١٨ هـ (٦٣٩ م)، وتوغل المسلمون في داغستان في عامي ٢٢ و ٢٣ هـ (٦٤٢، ٦٤٣م).

وتمثِل المرحلة ما بين ٨٧ -٩٠ هـ واحدة من أهم مراحل الفتوحات التي استطاع الإسلام أن يثبّت فيها أقدامه في تلك المنطقة، وكانت اليد الطولى فيها للقائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي وتأثر مسلمو روسيا بالنهضة العلمية التي نشأت وازدهرت في منطقة تركستان المجاورة، التي أخرجت العديد من عظماء العالم الإسلامي، أمثال: الإمام البخاري، الترمذي، النسائي، السرخسي، والزمخشري، وغيرهم من الأئمة الأعلام، ولعب التصوف لاحقًا دورًا كبيرًا في انتشار الإسلام، بسبب انفتاحه وتسامحه مع عادات الشعوب والأمم.

ويمثل المسلمون في روسيا قوة سكانية متصاعدة، حوالي ٢٠ مليون نسمة، أي ما يمثِل حوالي ١٥% من إجمالي سكان الاتحاد الروسي، وتختلف تقديرات نسبة عدد مسلمي روسيا، حيث تصل بعضها إلى ٢٥ مليون نسمة ويتركز وجودهم في منطقتين مهمتين بالنسبة لروسيا، وهما:منطقة القوقاز الشمالي الحدودية، ومنطقة الفولجا والأورال في قلب روسيا، ويوجد مسلمون بالإضافة إلى ذلك في موسكو وبطرسبورج وسيبيريا والمسلمون في روسيا أغلبيتهم من أهل السنة من أتباع المذهبين الحنفي والشافعي، ويشكل أتباع المذهب الحنفي الأغلبية في منطقة حوض الفولجا وأعماق روسيا وسيبيريا، بينما يسود المذهب الشافعي في القوقاز باستثناء أذربيجان.

ويعتنق المذهب الشيعي الجعفري بصورة أساسية من الأذربيجانيين حوالي مليوني شخص وتعرّض المسلمون في تلك المنطقة منذ القرن السادس عشر وإلى الآن لعمليات احتلال واضطهاد مستمرة استهدفت هويتهم ودينهم، حتى أصبح الإسلام في نظر غالبية مسلمي روسيا مجموعة محدودة من العادات التي يداخلها الكثير من الانحرافات وشكّلت الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في روسيا ـلموقعها الإستراتيجي وثرواتها المتنوعة أهمية كبرى للاتحاد السوفييتي قبل انهياره، سواء ما كان منها داخل منطقة الفولجا والأورال، أو ما كان منها في منطقة القوقاز.

التغلغل الشيعي في المنطقة:

منذ قيام الدولة الصفوية ٩٠٦ هـ ـ ١٥٠٠ م، لم تتوقف محاولات نشر المذهب الشيعي في شرق الأناضول وجنوب القوقاز غرباً، وفي خراسان وممالك ما وراء النهر شرقاً، وهو الأمر الذي جعل الدولة الصفوية تخوض حروبًا متصلة في الشرق مع خانات آسيا الوسطى، وفي الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين.

ومنذ أن ضم الشاه إسماعيل الصفوي العراق ١٥٠٨ م إلى حكمه وتلامست حدود الدولتين الصفوية والعثمانية، بدأ الصراع بين الطرفين،

وكانت أراضي العراق ميداناً لهذا الصراع الذي استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وحاول أثناءها شاهات فارس الاستعانة بملوك الفرنجة ضد العثمانيين واستمرت معارك الشاه إسماعيل الصفوي في مناطق ما وراء النهر، ودخل في حرب ضد الدولة العثمانية عام ١٥١٤ م في عهد السلطان العثماني سليم الأول.

وفي هذا الإطار، استمر التحالف بين العثمانيين والأوزباك السُنة في مواجهة الخطر الفارسي الشيعي المتحالف مع الروس، حيث رأينا خلال القرن السابع عشر الميلادي علاقات وطيدة ومشاركة سياسية وعسكرية واسعة بين الدولة العثمانية وممالك وسط آسيا الإسلامية، كان لها أعظم الأثر في إلحاق ضربات متتالية أضعفت الحكم الشيعي في فارس وإن كان هذا الضعف لصالح الروس.

وتبرز علاقات إيران بالاتحاد السوفييتي منذ عهد روسيا القيصرية عندما بدأ الغزو الروسي لمنطقة وسط آسيا الإسلامية ولامست الحدود الروسية الحدود الإيرانية، وكان العدو المشترك للطرفين هو الدولة العثمانية، ومن ثم تبادل الجانبان السفارات التي كانت تحمل روح المودة بين الطرفين والرغبة في التعاون المشترك وحسن الجوار، وكان القياصرة يحبذون استمرار الخصومة العثمانية الإيرانية وعندما نجحت الثورة البلشفية في روسيا وعمل الاتحاد السوفييتي على إحكام قبضته

على وسط آسيا، بدأت العلاقات بين الطرفين تسير نحو التأزم، بسبب أطماع الاتحاد السوفييتي في الوصول بنفوذه إلى منطقة الخليج العربي عبر إيران.

وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي شهدت الجمهوريات الإسلامية في روسيا الاتحادية حالة من الشد والجذب بين جهات مختلفة تتنافس لاستقطاب المسلمين إليها، ما بين الإدارات الدينية الرسمية لمسلمي روسيا التابعة لإشراف وسيطرة الحكومة الروسية، وبعض الطرق الصوفية التي كانت تنشط وسط مسلمي الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، محاولة الحفاظ على بعض من بقايا شعائر الإسلام في العصر السوفييتي البائد، وبين بعض الجماعات التي بدأت تنشط في أعقاب سقوط الاتحاد السوفييتي في محاولة لإحياء الهوية الإسلامية المفقودة ووسط كل ذلك، لم تغفل إيران عن استغلال فرصة ما تمر به المنطقة، وحالة الفراغ والتيه التي عانى منها مسلمو روسيا، وأن تستثمر ذلك كله لصالح مد النفوذ الشيعي، والتغلغل وسط مسلمي روسيا بشتى الطرق، مستغلة الغياب السني المؤثر على تلك المنطقة الهامة.

وسارعت إيران، مستغلة مواردها الاقتصادية وانطلاقا من الجوار الجغرافي والصلات التاريخية مع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، لتكوين كتلة إقليمية تكون هي فيها بمثابة القلب والمركز،

وتضم هذه الكتلة الجمهوريات الإسلامية في أسيا الوسطى والقوقاز، بالإضافة إلى منطقة الخليج، وبهذا تلعب إيران دورًا هاماً كمركز للتوازن بين أسيا الوسطى والقوقاز وأفغانستان من جهة، والعالم العربي من جهة أخرى.

كما استغلت إيران العلاقات الاقتصادية الواسعة التي تربطها بروسيا، فضلًا عن نفوذها القوي على الكثير من الشيعة الأذريين في موسكو ونفوذها في الجوار الأذربيجاني ذي الغالبية الشيعية لنشر التشيع وسط مسلمي روسيا، مستخدمة طرقا متنوعة، من أهمها:

١-التحرك لنشر التشيع من خلال الجمعيات الصفوية المنتشرة في موسكو، التي تحمل أسماء مختلفة، مثل: أهل البيت، فاطمة الزهراء...، وغيرهما، بجانب إقامة المعارض والمؤتمرات والمحطات الإذاعية التي تخدم الصفوية.

٢- التأثير على من أسلموا حديثًا وإغراؤهم بالمال والمِنَح الدراسية التي تقوم إيران بتمويلها.

٣- نشر العديد من دعاة الشيعة في مساجد ومناطق أهل السنة، لدعوتهم إلى التشيع، ونشر بدعهم وعقائدهم الفاسدة، مستغلين جهل الكثيرين من المسلمين بدينهم.

٤- التعاون مع الكنيسة الروسية كلّ لخدمة مصالحه الخاصة على حساب المسلمين السنة في روسيا، حيث أسست لجنة للحوار بين الكنيسة الروسية وإيران منذ ثمانية أعوام، وكان من مظاهر هذا التعاون أنه في مؤتمر لممثلي الديانات العالمية في موسكو في (٢٠٠٦ م) وضعت الكنيسة الروسية ممثلًا عن الصفويين من أذربيجان، ومن يطلقون عليه آية الله من إيران بجوار أكبر قساوسة روسيا.

٥-التحريض ضد العرب السنة واتهامهم بأنهم مصدر الإرهاب، وأنهم يدعمون المجاهدين الشيشان في حربهم ضد الحكومة الروسية، واستغلال ذلك للظهور بمظهر الاعتدال.

٦- التعاون الاقتصادي مع بعض الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية مثل داغستان، مستغلة قربها من أذربيجان ذات الغالبية الشيعية، فضلًا عن اشتراكهما في بحر قزوين ذي الثروة النفطية الكبيرة .

وعلى الرغم من أن التحركات الإيرانية لنشر التشيع وسط مسلمي روسيا لم تمثل ظاهرةً بعدُ، والمسلمون ينشغلون عنها بقضايا أكثر أهمية تتعلق باستعادة هويتهم وحصولهم على حقوقهم السياسية والدينية وغيرها، غير أن الغفلة عن المد الشيعي في تلك المنطقة، خاصة في ظل ضعف الهوية الإسلامية لدى غالبية مسلمي روسيا وفي ظل المشروع

الشيعي التوسعي، ستمثل خطورة كبيرة على المدى البعيد على مسلمي روسيا ودول العالم الإسلامي التي يمثل لها المسلمون في روسيا بُعداً حضارياً وثقلًا سياسياً وأهمية إستراتيجية كبيرة.